

منهج القرآن الكريم في الرد على شبه الطعن في مصدريته: (دراسة تحليلية)

أ.د. جهاد محمد نصيرات**

شعاع رائد حنيني*

الملخص

أهداف البحث: يسعى البحث إلى الكشف عن منهج القرآن الكريم في الرد على شبه الطعن في مصدريته، من خلال دراسة متكاملة تراعي ثلاث زوايا أساسية: ذات الشبهة، والطاعن، والداعية، باعتبار أن معالجة هذه الزوايا مجتمعة يساهم في فهم الرد القرآني بصورة أعمق.

منهج الدراسة: استخدمت الدراسة ثلاثة مناهج رئيسية: المنهج الاستقرائي لتتبع ما ورد في كتب التفسير من آيات تتناول الشبهات حول مصدرية القرآن، والمنهج التحليلي لاستنباط الأساليب القرآنية في الرد، والمنهج الوصفي لعرض تلك الأساليب بشكل منهجي من خلال وصف دقيق.

النتائج: كشفت الدراسة أن القرآن الكريم اعتمد في ردوده على منظومة ثلاثية تشمل: مضمون الشبهة، شخصية الطاعن، وموقف الداعية. وتنوعت أساليبه بين النفي، وترك الرد، وبيان الحقيقة، والرد العقلي، وكذلك أساليب الزجر، والرحمة، والتوجيه للداعية. أصالة البحث: تميز البحث بجمعه لشبهات الطعن في مصدرية القرآن، وتقديمه تحليلاً لمنهج قرآني متكامل في الرد، يُظهر ملمحاً إيجازياً في تعامل القرآن مع هذه الشبهات بما يتناسب مع أطرافها الثلاثة.

الكلمات المفتاحية: منهج، شبه، الطعن، مصدرية القرآن الكريم.

* طالبة دكتوراة، الجامعة الأردنية. hninishoaa@gmail.com

** كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

1-المقدمة:

الحمد لله الذي كفى عباده بنزول كتابه، وجعله آيات بينات في قلوب المؤمنين، وصوى هادية للحاترين، ونهجا قويا للسائرين، والصلاة والسلام على الذي حاز الغلا وزحزحنا عن الردى، سيدنا وخير الوري نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبع الهدى.

أما بعد؛

فإن النظر في كلام الله الحكيم العليم، والانغماس في دراسة القرآن الكريم، يُعدّ من أرفع ميادين البحث العلمي، لما فيه من كشف لمكنون المعاني وأسرار البيان، ومن أهم محاور هذا البحث التأمل في طرائق القرآن في الرد على الطاعنين فيه عبر العصور، حيث تتجلى الأساليب البيانية والحجاجية المحكمة، التي تعكس اتساق الخطاب القرآني وقوة حججه، مما يوجب الاعتراف بعظمة الخالق والخضوع لحكمته.

وقد تناول القرآن الكريم الشُّبه التي أثّرت قديماً حول الرسالة، والرسول، والبعث وغيرها من مسائل العقيدة، فتصدّى لها بأساليب متنوّعة وفق أساليب متكاملة يحفظ النص من التحريف ويثبت مصدره الإلهي. ويهدف هذا البحث إلى دراسة منهج القرآن الكريم في الرد على الطاعنين في مصدره، وتحليل أساليب الرد المختلفة، بما يتيح للباحثين استيعاب أبعاد هذا المنهج وإظهار ملامح إحكامه ودقته، فتكون النتيجة مساهمة علمية واضحة تسهم في فهم طبيعة الخطاب القرآني ومتانة حججه.

وقد اقتضت خطة البحث أن تكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب.

المقدمة وفيها مشكلة البحث وأهميته وأهدافه والدراسات السابقة ومنهج البحث والخطة التفصيلية.

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما منهج القرآن الكريم في الرد على شبه الطعن في مصدريته؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

- 1- ما منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بذات الشُّبهة؟
- 2- ما منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بالطاعن؟
- 3- ما منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بالداعية؟

2- أهداف الدراسة:

- 1- الوصول إلى منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بذات الشبهة.
- 2- الوصول إلى منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بالطاعن.
- 3- الوصول إلى منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بالداعية.

3- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- 1- أنها مهمة لطلبة العلم والدعاة، ولكل من انبرى للمجابهة والتصدي للشبهة المتوجهة للقرآن الكريم.
- 2- أنها تتضمن الكشف عن إعجاز منهج القرآن الكريم في الرد على الطاعنين.
- 3- كونها إضافة جديدة للدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والدعوة، فتناولت الآيات المتحدثة عن الشبهة حول مصدريّة القرآن الكريم والرد عليها، ووقفت مع منهجها في ذلك.

4- منهج الدراسة:

سيقتصر هذا البحث على ثلاثة مناهج، وهي:

- 1- المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع ما دونه العلماء في كتب التفسير حول جميع الآيات التي تحدثت عن الشبهة حول مصدريّة القرآن الكريم.
- 2- المنهج التحليلي: وذلك من خلال محاولة استنباط منهج القرآن في الرد على الشبهة حول مصدريته، وتحليل هذا المنهج سعياً لبيان حدوده ومعالمه. في الرد على الشبهة حول مصدريته.
- 3- المنهج الوصفي: وذلك من خلال وصف الباحثين لمنهج القرآن الكريم في رده على شبه الطاعنين في مصدريته.

5- حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على تناول الشبهة الصريحة المباشرة التي وجهت الطعن إلى مصدر القرآن الكريم تصريحاً لا تلميحاً.

ويخرج من نطاقها الشبهات التي تعلقت بالطعن في شخص الرسول ﷺ، كما تخرج منها الشبهات المثارة في قضايا أخرى عقدية وغيرها، وإن كان مآل بعضها - بطريق اللزوم أو الإفضاء

– إلى الطعن في مصدرية القرآن؛ إذ إن مناط البحث هو الطعن الصريح المباشر في المصدر، لا ما يفهم منه بطريق التضمين أو اللزوم.

6-الدراسات السابقة:

قد تناولت بعض الدراسات منهج القرآن الكريم في تناوله للشبه، ولكن من حيثيات مختلفة، ومنها:

- 1- رسالة بعنوان: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها لعبد المحسن بن زين بن متعب المطيري، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الشريعة الإسلامية، طبعة أولى: دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1427هـ/2006م. تناولت الدراسة الطعون الموجهة للقرآن، مع التركيز على الشبهة وأساليب الرد عليها، وتصنيف الطاعنين وتحليل تكرار الطعون وانتقالها بين الأفراد. وقد أفادت البحث الحالي في توضيح طبيعة الطعون وسياقها التاريخي، بينما يختلف عن رسالة د. المطيري في أنه يقدم إطاراً منهجياً متكاملًا للرد القرآني عبر ثلاثة محاور مترابطة: الشبهة، والطاعن، والداعي، مع مراعاة نفسيات كل منهم وتكييف الرد بما يناسب حاجتهم، وهو ما يكشف عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني في الردود.
- 2- بحث بعنوان: (الرد القويم على من طعن في مصدر القرآن الكريم) لأحمد الأمير محمد جاهيم إسماعيل، جامعة، إسماعيل، جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، 2008، (ع)10. جاء هذا البحث في ثلاثة مباحث، تناول أولها دوافع المشككين، وخصص مبحثه الثاني لعرض الشبهات والرد عليها من القرآن الكريم، ثم تطرق إلى شبهات حول مصدرية القرآن والجواب عنها، ويُعدّ مبحثه الثاني أقرب المباحث صلة بموضوع الدراسة الراهنة من حيث تناوله الرد القرآني على الشبهات، إلا أنه اقتصر على عرض الردود دون الكشف عن المنهج القرآني الحاكم لها أو بيان بنائه الكلي، أما الدراسة الراهنة فتميزت بتتبع منهج القرآن الكريم في الرد على شبهات الطعن في مصدره، وكشف معالمه الجامعة، بما يبرز انتظام الردود القرآنية في إطار منهجي متكامل، لا يقتصر على تفنيد الشبهة، بل يكشف عن البنية المنهجية التي تحكم خطاب الرد في القرآن الكريم.
- 3- بحث بعنوان: (منهج القرآن الكريم في الرد على الطاعنين في رسالة النبي الأمين في ضوء سورة القرآن "دراسة في البناء والدلالة")، لهدى بنت دليجان بن عبد الله، مجلة التربية، جامعة الأزهر-

كلية التربية، مارس/ربيع أول/ 2011، (ع) 145، (ج) 3. اختصت هذه الدراسة بسورة الفرقان فقط، مع التركيز على بناء افتتاحيتها ودلالاتها على موضوع السورة ومقاصدها الأساسية وارتباطها بخاتمها، بينما يمتد البحث الحالي إلى دراسة المنهج القرآني في الرد على الطاعنين في جميع مواضع ورود الشبهات في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، مستعرضاً المنهج الكلي للقرآن بما يبين تكامله ومرونته في الرد، ويكشف عن إعجازه في مراعاة أحوال الطاعنين والداعين والشبهات نفسها، وتكييف أساليب الرد وفق مقتضيات كل موقف، وهو منظور أوسع وأكثر شمولاً من الدراسة السابقة.

4- بحث بعنوان: (منهج القرآن الكريم في الرد على الشبهات: خصائصه وقواعده) لمي بنت عبد الله بن محمد الهدب، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مارس/2021، (ع) 84. وهذا البحث يتناول خصائص وقواعد الشبه جمعاء، بينما جاءت الدراسة المتناولة بالبحث مخصصة بالشبه حول مصدريّة القرآن الكريم لا غير، ووصف المنهج في تناولها، وذلك على صعيد ثلاثة محاور الشبهة والداعية والطاعن، فكان البحث أكثر تخصصاً. 5- بحث بعنوان: (المنهج العلمي في الرد على شبهات المستشرقين: شبهاتهم حول مصدر الوحي أنموذجاً)، لشهد بنت عطوان المالكي، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، جامعة الملك خالد، 2022م، (ع) 3، (مج) 19. عُنيّت بعرض ثلاثٍ من الشبهات الحديثة التي أثارها بعض المستشرقين حول مصدريّة الوحي، فاستقرأت أقوالهم، وناقشت أدلتهم، وردّت عليها بمنهج تحليليّ استدلاي، مع التأكيد على أن هذه الدعاوى لا تمثل جديداً في جوهرها، وإنما هي إعادة إنتاجٍ لشبهاتٍ أثّرت في عصر النبوة، غير أن معالجتها ظلّت منصبّة على تفنيد الشبهة في ذاتها، دون استقراءٍ مباشرٍ للمنهج القرآني في الرد أو الكشف عن بنيته الخطابية، أما البحث الحالي فيتجاوز هذا الإطار الدفاعي الجزئي، ليكشف عن المنهجية القرآنية المتكاملة في مواجهة الشبهات، بوصفها منظومةً ثلاثية المحاور تشمل الشبهة، والطاعن، والداعية، مع مراعاة أحوال كلٍّ منهم ومقتضيات المقام، بما يبرز البعد المنهجي والإعجازي في بناء الرد القرآني.

6- بحث بعنوان: (منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين: بدائل الجدل المنطقي)، لعبد الله بن دجين علي السهيلي والجوهرة بنت عبد الله القحطاني آل الشيخ ونجلاء بنت عبد الرحمن

فالح وأفنان بنت عبد الله بن عبد العزيز، مجلة الدراسات العقديّة، الجامعة الإسلامية- كلية الدعوة وأصول الدين- الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، يوليو/2023، (ع) 32، (مج) 16. تطرق هذا البحث إلى تعريف الجدل وبيان أقسامه، واستعرض منهج القرآن الكريم في الجدل، متناولاً أساليب الرد القرآني على المخالفين في إطار بدائل الجدل المنطقي. ويختلف البحث السابق عن الدراسة المتناولة هنا في كونه مختصاً بالرد على المخالفين عموماً، دون التطرق إلى الطاعنين، بينما يركز البحث الحالي على منهج القرآن في الرد على شبه الطاعنين بنظرة تحليلية متكاملة، تكشف عن البناء القرآني الخاص في مواجهة الطعون، مع مراعاة حال كل طرف وخصائص الشبهة، بما يبرز بعداً منهجياً وإعجازياً في الرد القرآني.

7- بحث بعنوان: (شبهات المستشرقين حول مصدرية القرآن الكريم وأثر الإعجاز القرآني عليها)، لحمزة قرد والسعيد بوخالفة مشرفاً مشاركاً، مجلة المحترف، جامعة زيان عاشور الجفلة- معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، 2025م، (ع) 1، (مج) 12. تناولت الدراسة السابقة الرد على شبهات المعاصرين حول القرآن الكريم مستندة إلى الإعجاز القرآني بأنواعه البلاغي والعلمي وغيرها، فكان تقاطعها مع البحث الراهن في اهتمامهما بمعالجة شبهات مصدرية القرآن، غير أن خصوصية البحث الراهن تكمن في تتبع المنهج القرآني العام في الرد على الشبهات الطاعنة في مصدرية القرآن وكشف البناء الكلي لهذا المنهج، الذي يقوم على ثلاثة محاور مترابطة: الشبهة، والطاعن، والداعية، مع مراعاة مقتضيات كل موقف وأحوال المخاطبين، ومن بين الأساليب القرآنية للرد، وأبرزها البحث الراهن، الإحالة على القرآن نفسه، وهو أحد أساليب القرآن في الرد التي اعتمدتها الدراسة السابقة، غير أن الدراسة السابقة لم توضح أن هذه الطريقة أو منهجية الرد مأخوذة من القرآن نفسه، بل اقتصرته على استخدام الإعجاز القرآني كأداة للرد، بينما البحث المُقدّم كشف عن المنهج الكامل للقرآن في الرد على الطاعنين والشبهات، مبيناً كيف يتجلى فيه الإعجاز المنهجي في مراعاة جميع الأطراف وتكامل أساليب الرد القرآني.

7- خطة البحث:

التمهيد، وفيه:

أولاً: التعريف بالشبهة والمنهج.

ثانياً: بيان محاور الشبهة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بذات الشبهة.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بالطاعن.

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بالداعية.

الخاتمة، وفيها:

أولاً: النتائج.

ثانياً: التوصيات.

التمهيد:

أولاً: التعريف بالشبهة والمنهج.

قبل الشروع في عرض منهج القرآن الكريم في الرد على شُبّه الطعن في مصدريته، لا بدّ من الوقوف مع المصطلحات وتعريفها جرياً على عادة البحث العلمي في بدء توطئة ممهدة للخوض في صُلب الدراسة.

1-تعريف الشبهة:

الشبهة في اللغة: يدور جذر (شَبَهَ) على ثلاث معانٍ في اللغة وهي: الإلباس والتماثل والإشكال، يقول ابن فارس: "يقال شبه وشبه وشبيهه. والشبه من الجواهر: الذي يشبه الذهب، والمشبهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران، إذا أشكلا"¹، ويقول ابن منظور: "الشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّيْبَةُ: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله."²، وقال الجوهري: "والشُّبْهُ: الالتباس"³. وقيل في التعريف بالشبهة في الاصطلاح:

المقصود بالشبهة اصطلاحاً التي هي حديث البحث: "ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعي وأحقية ما يدعو إليه، فيمنعه ذلك من رؤية الحق والاستجابة له، أو تأخير هذه الاستجابة، وغالباً ترتبط الشبهة بعادة موروثية، أو مصلحة قائمة، أو رياسة دنيوية، أو حمية جاهلية، فتؤثر الشبهة بسبب هذه الأمور في النفوس الضعيفة المتصلة بهذه الأشياء، وتتعلق بها وتحسمها حجة وبرهاناً تدفع به الحق، وتخاصم الدعاة إلى الله تعالى"⁴.

2-تعريف المنهج:

المنهج في اللغة: المنهج من (نَهَجَ) وهو الطريق الواضح البين، يقول الفيروز أبادي: "النَّهْجُ، والمنَّهَجُ، والمنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الواضِحُ"⁵، ويقول ابن منظور: "نَهَجٌ: بَيَّنَّ واضِحٌ"⁶، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ

جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا ﴿48: المائدة﴾ [المائدة: 48] أي الطريق الواضح⁷، وكذلك المنهج. وقال السمين الحلبي: "ويستعار ذلك للدين والأمر كاستعارة الطريق والمذهب لذلك"⁸. التعريفات الواردة في تعريف المنهج اصطلاحاً متعلقة بالمنهج البحثية للدارسين، وهي بعيدة كلياً عن مقصود البحث، ولم يعثر الباحثان على تعريف المنهج تعريفاً اصطلاحياً يصدق عليه موضوع البحث ولذا قدم الباحثان تعريفاً مقتبساً من التعريف اللغوي يعكس غرض الدراسة، وهو:

الطرق والأساليب التي سلكها القرآن الكريم رداً على الدعاوى المزعومة في حقه. وأما الرد: فهو التصدي للقادح في قدحه بطرق عديدة.

وكلمة (الرد) أينما وقعت في هذه الدراسة فيعني بها الباحثان الرد على شبهات الطعن في مصدرية القرآن الكريم، فاللام فيها للعهد الذكري. ثانياً: بيان محاور الشبهة في القرآن الكريم. من خلال استقصاء وحصر كافة الشبه الطاعنة في مصدرية القرآن الكريم على وجه التعيين، كانت الشبهات مختزلة في الآتي:

- 1- أن القرآن مفترى من عند محمد ﷺ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [38: يونس].
 - 2- أن القرآن لا يخرج عن كونه أساطير الأولين ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [83: المؤمنون].
 - 3- أن القرآن لا يخرج عن كونه مقتبساً ومتعلماً من بشر قام بتعليمه للنبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [103: النحل].
 - 4- أن القرآن ضرب من الجنون⁹ ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [51: القلم].
 - 5- أن القرآن ضرب من الشعر¹⁰ ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [5: الأنبياء].
 - 6- أن القرآن ضرب من الكهانة والسحر ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [42: الحاقة].
 - 7- أن القرآن أضغاث أحلام ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغُثٌ أَحْلَمٌ﴾ [5: الأنبياء].
 - 8- أن القرآن قول شياطين¹¹ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [25: التكويد].
- تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وغالب ما ذكر هو في حقيقته ما دون الشبهة، وإنما أُطلق عليه هذا الاسم من قبيل التجوز والتوسع وموافقةً لصنيع المفسرين عند تناولهم لتلك المواضع¹²، وهذه الدعاوى الباطلة كان منشؤها بذرة الاستكبار وإرادة الطعن في مصدريّة القرآن تكذيباً له من غير وجه شبه بدافع الكفر والعناد والإباء عن الانصياع لأمر الله تعالى¹³، على الرغم من وضوح الأدلة وتكاثر القرائن الدالة على صدقه، فانصرفوا إلى تصوّرات واهية، وركنوا إلى مزاعم لا يسندوها برهان.

وهذا المسلك لم ينقطع أثره، بل تجدد في الطروحات المعاصرة لدى بعض المستشرقين؛ إذ إنّ جلّ الشبه التي يثيرونها . على اختلاف عناوينها وتبويباتها . تعود في أصلها إلى دعوى واحدة، وهي نفى كون القرآن وحياً من عند الله، إذ لو ثبتت له المصدريّة الإلهية لكان حجةً ملزمةً عليهم، وهو ما لا ينسجم مع أهوائهم وتصوراتهم المسبقة، ومن ثمّ لم يأتوا بجديد في جوهر الطعن، وإنما أعادوا قولبة الشبه القديمة في صيغ حديثة، مع اختلاف في العرض والتصنيف، بينما بقيت الدعوى المركزية واحدة لم تتبدل عبر الزمان¹⁴.

ومن خلال إمعان النظر وإنعامه تبين للباحثين أنّ القرآن الكريم يُراعى في الردّ على هذه الشبهة والتصدي لها ثلاثة محاورٍ كليّة، أطلقا عليها مسعى (منظومة الرد)، وهي منظومة متكاملة لا ينفك بعضها عن بعض، ينتظمها بناءً محكم، ويعرضها القرآن بأساليب شتى وأفانين متعددة، وهي من صميم نظمه الكريم، يتجلّى فيها ملمحٌ جليل من ملامح الإعجاز؛ إعجاز في المنهج الذي يسلكه في دحض الشبهة وتقويض أسسها، إعجاز يعظم قدره، ويتعذّر الإحاطة بوصفه، ويقصر الإدراك عن استقصاء كنهه؛ إذ تفرّد به القرآن تفرّداً باهراً، فتمايز عن الأساليب والنزعات البشرية في معالجة الطعون والتصدي للقوادح.

والمحاور الرئيسة التي راعاها القرآن الكريم في الرد على الشبهة الطاعنة فيه تتمثل في ثلاثة أركان كليّة:

أولاً: الداعية، وهو في المقام الأول رسول الله ﷺ، الذي توجّهت إليه الشبهة طعناً في دعوته ورسالته، ويُلحق به كلّ داعيةٍ إلى الله في الجملة، فيما لا يختص بشخصه الشريف من الخصائص النبوية.

ثانياً: الطاعن في القرآن الكريم، باعتباره مصدر الشبهة ومثيرها، بما يحمله من خلفيات عقديّة، وتوجهات فكريّة، ودوافع نفسية.

ثالثاً: الشبهة المطروحة ذاتها، بما تتضمنه من دعوى أو إيراد يراد به القدح في مصدريته القرآن أو التشكيك في صدقه.

فكل شبهة لا تنفك عن طارحها، ولا تنعزل عن معتقده ونفسيته وغايته؛ إذ ليست دعوى تلقى في الفراغ عبثاً، بل توجّه قصداً إلى متبنٍ للحق مؤمنٍ بخلافها، فتكون جزءاً من سياقٍ جدليٍّ متكاملٍ تتداخل فيه الأطراف وتتفاعل فيه الدوافع والمقاصد.

وقد يقول قائل: لم لم يقتصر البحث على الرد على ذات الشبهة؟ فيما تبين للباحثين بعد التأمل والنظر أن الاقتصار على الشبهة في ذاتها يُفضي إلى قصورٍ في بيان المنهج القرآني في الرد؛ إذ إن القرآن لم يعالج الشبهة معالجةً مجردةً منفصلةً عن سياقها، بل راعى في الرد ثلاثيةً متداخلة الأركان، متعاضدة البنيان، تمتزج عناصرها امتزاجاً لا ينفك بعضه عن بعض، فظهرت هذه المحاور مجتمعةً في نظمه الكريم، محققةً لغاياته ومقاصده.

ثم إن القرآن الكريم لم يعبأ بذات الشبهة -في بعض الأحيان- فكيف للباحثين ذلك! وهذا من عجيب منهجه، بل كان يعبأ بعباده مؤمنٍ وطاعينٍ، فيمضي نظمه لتحقيق التذكير والهدى لا لمجرد الانتصار لذاته سبحانه وتعالى وإن كان هذا واقعاً لا محالة؛ فسبحان الرحيم الحكيم. وبحسب ما انتهى إليه الباحثان بعد التأمل والاستقراء، فإن عرض الرد على شبهات الطعن في مصدريته القرآن الكريم لا يجاوز ثلاثة أصولٍ كليّة، هي:

- 1- إيراد الردّ عقب الشبهة مباشرةً كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ١٠٣﴾ [النحل: 103].
- 2- ورود الردّ على الشبهة في غير موطن إيرادها؛ إذ قد يُعرض¹⁵ بالجواب عنها، أو يُلوّح به في مواضع أخر لم تُذكر فيها الشبهة صراحةً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 6] فهذه الآية واقعةٌ في مطلع سورة النمل، ولم يتقدّمها في صدر السورة ذكر شبهة بعينها، غير أنّها انطوت على تعريضٍ بالردّ على دعوى الكافرين أن النبي ﷺ تلقى القرآن من مصدرٍ آخر غير الوحي، فجاءت مثبتةً لمصدره الإلهي على وجهٍ يُبطل تلك المزاعم من غير تصريح بذكرها، قال ابن عطية: "وهذه الآية رد على كفار قريش في قولهم إن القرآن من تلقاء محمد صلى الله عليه وسلم"¹⁶.

3- الإعراض عن الشبهة وترك الرد عليها صراحةً، وهو ظاهرٌ في بعض المواضع، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَجَرٌ مُّبِينٌ﴾ [2: يونس] ولم يرد عقب هذه الشبهة ردٌّ¹⁷، وهو معلّمٌ من معالم المنهج القرآني، سيأتي تفصيله لاحقاً.

ويرى الباحثان أن من المغالطة المنهجية في تتبع منهج الرد على شبه الطاعنة في مصدريته القرآن الكريم قصر النظر على موضع ذكر الشبهة فحسب؛ وذلك لجملةٍ من الاعتبارات، منها:

- 1- أن القرآن الكريم قد يُعرض بالرد في غير موطن إيراد الشبهة، كما تقدّم بيانه أنفاً.
- 2- أن القرآن يُحيل في التصدي لأي مستكبرٍ ومعاندٍ إلى النظر والتأمل فيه، فالقرآن يُحيل على القرآن في الاحتجاج، كما يقول تعالى مخاطباً من كذب به: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [68: المؤمنون]، والمقصود بالقول في الآية الكريمة هو القرآن¹⁸، والإحالة إليه تُعدّ جزءاً من منهجيته في الرد، كما سيبيّنه الباحثان لاحقاً.

3- أن القرآن قد يورد الشبهة في أكثر من موضع بتعبيرات مختلفة، فيردها في موضع بطريقة ويغير في الرد عليها في موضع آخر، فيتكوّن من ذلك الرد الكلي، أو يوضح أحد الردين الآخر، وحينئذ لا يُكتفى بالاعتماد على موضع الشبهة الواحد، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [103: النحل]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [4: الفرقان] فالآيتان نظيرتان¹⁹، فالرد الذي ورد في سورة الفرقان يُستكمل ويوضّح بما جاء في آية النحل²⁰، ويذهب الباحثان إلى أن الأولى جاءت للرد على الشبهة ذاتها، في حين تعرّضت الثانية لبيان جانب من حال الطاعن، فيندمج بذلك محتوى الآيتين لتشكيل الرد الكلي.

وإذا ذكر القرآن الرد على شبهة من شبهة وخصّها، فإن الرد في الغالب يمتدّ عبر عدة آيات، يتناول فيها القرآن الشبهة نفسها، ويبيّن حال الطاعن، ويشير إلى ما يتطلبه الداعية من عمل، وهو ما أطلق عليه الباحثان اسم (منظومة الرد الثلاثية) –إن جاز التعبير–.

مثال يوضّح منظومة الرد الثلاثية (محاوّر الرد على الشبهة):

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ

بِالْيَمِينِ ٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ ٧ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ٨ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ٩ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٢ ﴿ [40-52: الحاقة]

الشبهة التي ذكرتها الآية: اتهام النبي ﷺ بالشعر والكهانة عند تلاوته للقرآن الكريم، واتهامه أيضاً بالتقول والافتراء.

الرد على ذات الشبهة: يمتد الرد من بداية الآيات سابقة الذكر إلى نهاية قوله: (وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) ويضاف إليه قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ).

حال الطاعن: فحال عند إطلاق الشبهة يكون مكذباً مُصراً على الجحود، وفي الآخرة يظهر تحسره عند مواجهة العذاب نتيجة عدم اهتدائه بالقرآن، وهو في قوله تعالى: (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ٩ ثُمَّ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ).

ما يُتطلب من الداعية: أن يلتزم بالتسبيح والتمسك بذكر الله تعالى، وهو في قوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ).

وللمتدبر أن يلاحظ كيف ذكر الله سبحانه وتعالى جزءاً من الرد على ذات الشبهة في قوله: (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ) بعد بيان حال الطاعن، إذ يندمج الرد على الشبهة مع بيان حال الطاعن دون فصل بينهما، فيتضح بذلك أن كليهما ممزوج في المعالجة القرآنية للشبهة.

وفيما يلي سيعرض بيان معالم منهج القرآن الكريم في الرد على شبهة وفق ما استقر عليه الباحثان، من خلال ثلاثة مطالب تُشكل المحاور الرئيسة لمنظومة الرد الثلاثية، ويُستحسن الإشارة إلى سبب امتناع الباحثين عن تقسيم البحث بحسب كل شبهة على حدة – أي جعل لكل شبهة مطلباً مع بيان منهج الرد عليها – وذلك لكثرة الشبهة ولأن القرآن الكريم غالباً ما يجمع بين عدة شبهة ويرد عليها جملة واحدة، كما يظهر في آيات سورة الحاقة السابقة الذكر²¹، ولتفادي الوقوع في مذمة الإطالة والتكرار، استُحبَّ عرض الرد وفق كل محور من محاور الشبهة، مع محاولة إبراز عناية القرآن الكريم بكافة فروعها.

المطلب الأول: منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بذات الشبهة:

طرح الشبهة في القرآن الكريم لم يكن لغرض مناقشتها نقاشاً جدلياً؛ فالقرآن كتاب هداية منزّه عن الجدال ونحوه، بل يكتفي بالتعريض على تلك الشبهة بأساليب متعددة، مستهدفاً من خلالها

الإنذار لمن ما زالت أدرانها عالقة في قلبه، والتبشير والهداية والتأييد لمن استقام على طاعة ربه واعتصم بحبله.

ومن أساليب التصدي الخاصة بذات الشبهة التي أوردها القرآن الكريم:

1- نفي الشبهة تنزيهاً لما أنزل الله تعالى، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [29: الطور]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [25: التكويد]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ [69: يس]، وهذا الأسلوب في الرد مطرد في غالب الآيات مُشعراً بقوة المتكلم وتمكّنه من الحقيقة إذ يكتفي بنفي الشبهة دون التعرض لمناقشتها.

2- تجلية حقيقة القرآن وتكذيب الدعوى، ومثاله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ [70: المؤمنون] ويُعد الإضراب بـ(بل) أسلوباً إبطالياً، إذ كذب الله دعواهم وأبطلها²²، وجلى الحقيقة بأن النبي ﷺ جاء بالحق، أي بالقرآن الكريم²³، وفي تجلية الحقيقة قرع للطاعن، ويشير الباحثان إلى أن الادعاء بالجنون ذكر أيضاً في الرد بأسلوب النفي²⁴ كما سبق، فُنفي في موضع بأسلوب صريح، وفي موضع آخر بأسلوب تجلية الحقيقة، فتغايرت الأساليب تبعاً لاختلاف المقامات القرآنية.

3- ترك الرد على الشبهة، فالإعراض عن الجواب -في موضعه- ليس إغفالاً، بل هو في حد ذاته جوابٌ كاشفٌ عن فساد التهمة وضعف مأخذها، ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [2: يونس] فقد تُرك الجواب على هذه الشبهة، سواء كان اتهام النبي ﷺ بالسحر أو الطعن في القرآن بكونه سحراً²⁵، إذ وردت في هذه الآية قراءتان متواترتان: قرأ ابن كثير وعاصم وحَمْزَةُ والكسائي { لَسَاحِرٌ } بِألف²⁶، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر { لَسِحْرٌ } بِغَيْر ألف²⁷، فشملت الآية الطعن في الرسالة والرسول ولم يُعَقَّب عليها برد وهذا ظاهر، إذ تُرك الجواب لما فيه من فساد²⁸، وكذلك الطعن في القرآن بكونه أضغاث أحلام لم تُنف عنه هذه التهمة؛ إذ إنه ليس قولاً قائماً على دليل، وهو واضح العوار²⁹، ويكشف هذا الكلام من الطاعنين عن تعنتهم وعنادهم، ويدل على رسوخهم في الكفر، كما أن المؤكّدات الواردة في كلامهم تشهد بذلك، وكانت غايتهم القدح في كلام الله تعالى، فلا مستند لهم فيه³⁰.

4- الاستدلال العقلي، وهذا منهج يسلكه القرآن الكريم في الرد على الشبهات، وقد أولى القرآن هذا الجانب عناية فائقة سواء في معرض الشبهات أو في غيرها، فهو الذي لا يعقله إلا العالمون، وقد استخدم القرآن في ذلك أصعدة متعددة لتوظيف الجانب العقلي، ومنها:

أ- الاستدلال بالحال والواقع، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [103: النحل]، وقد اختزل القرآن الكريم الرد في هذا الاستدلال العقلي الموجز، بحيث يتبين بطلان الشبهة بأدنى نظر وتأمل، فلا يقول بها من له أدنى مسكة من عقل. فالعقل الصحيح يشهد للقرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: 17]، وقد قيل في تفسير الشاهد: إنه العقل الصحيح، على أحد الأقوال التفسيرية³¹.

ب- الاستدلال بسيرة الرسول ﷺ، ومثاله قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [69: المؤمنون]، جاءت هذه الآية عقب وصف الطاعنين بقوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ﴾، أي: كما ذكر البيضاوي: "تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه"³²، فاحتجت عليهم الآية بسيرة الرسول ﷺ، إذ كانوا يعهدونه صادقاً أميناً، معروفاً بحسن الخلق وكمال العقل مع عدم تلقيه علماً عن بشر³³، فكان طعنهم خارجاً عن مقتضى ما يعلمونه من حاله، ولم يجاوز كونه استكباراً وعناداً، كما أمر الله تعالى نبيه أن يحتج عليهم بهذا الوجه من الاستدلال، كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [16: يونس]، فهي حجة ظاهرة؛ إذ إن الله تعالى ما بعث إليهم رسولاً إلا بعد أن لبث فيهم زمناً من عمره، فعرفوا صدقه وأمانته وعدله، مما يجعل دعوى الافتراء والكذب في حقه بعيدة عن مقتضى العقل والنظر³⁴، فكانت هذه الحجج البيّنة قاطعة لدعواهم، ومبطلّة لشبهتهم.

ت- الاستدلال بالتاريخ ومنه كتب السابقين، يُعدّ تصديق القرآن للكتب السماوية السابقة وجهاً من وجوه الاستدلال على وحدة المصدر، وأنه تنزيل من عند الله تعالى، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [37: يونس] والمقصود بـ (الذي بين يديه) — على أحد الأقوال — التوراة والإنجيل³⁵، وقد ذكر الرازي أن التصديق يقع على وجوه متعددة³⁶، منها: أن النبي ﷺ كان أمياً لم يتلقَ علماً عن أحد، ولم تكن مكة موطن أهل كتاب ولا مركز تعليم لكتبهم، فلما جاء القرآن متضمناً قصص الأولين، مع شدة

عداوة قومه له، ولم يجدوا سبيلاً إلى الطعن في موافقة ما فيه لما في التوراة والإنجيل، كان ذلك دليلاً على أن مصدره الوحي، لا التعلم ولا الافتراء.³⁷

ث- على فرض التسليم، اعتمد القرآن في بعض المواطن أسلوب التَّنَزُّل مع الخصم، ومحاجته على مقتضى دعواه؛ إلزاماً له بلزوم قوله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [44-47: الحاقة]، فمقتضى دعواهم أن النبي ﷺ افتراه على الله تعالى يلزم منه -على هذا الفرض- أن يُعاجله الله بالعقوبة، إذ لا يُقرَّ سبحانه من يتقوّل عليه، ولما كان الواقع مخالفاً لذلك، بل أيده الله بالآيات البيّنات، وأظهر على يديه المعجزات، ومكّنه من أعدائه ونصره عليهم، كان ذلك برهاناً قاطعاً على صدقه، ودليلاً على بطلان دعواهم، وقد جرى القرآن على هذا النهج في مواضع أخر³⁸، حيث يلزم الخصم بلزوم قوله إظهاراً لفساده.

5- قلب الشبهة على الطاعن، قد لا يتجه القرآن الكريم في بعض المواطن إلى الرد المباشر على الشبهة بصورتها الظاهرة، وإنما يسلك مسلك قلبها على مثيرها؛ تقيعاً له، وإظهاراً لتهافت دعواه. ومن أمثله ما ورد في سياق شبهة (يُعلّمه بشر)، إذ أعقب ما تقدّم من أوجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [105: النحل]، فبدل أن يقتصر الخطاب على نفي دعوى الافتراء عنه ﷺ، قرّر أن أهل الافتراء حقيقة هم الذين لا يؤمنون بآيات الله، فانتقل الحكم من المدّعى عليه إلى المدّعي، وقُلبت الشبهة عليه³⁹، في أسلوب يجمع بين إبطال الدعوى وتقيع صاحبها.

6- الاستدلال بعلم أهل الاختصاص⁴⁰، من أساليب القرآن الكريم في الرد على شبهة الاحتجاج بعلم أهل الاختصاص والخبرة، ومثاله قوله تعالى: ومثاله قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَؤُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: 197]، وسياق الآيات يدل على أن القرآن مذكور في زُبر الأولين؛ أي في كتب الأمم السابقة كالتوراة والإنجيل وغيرها⁴¹، والمقصود بقوله: (أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَؤُا بَنِي إِسْرَءِيلَ) هم الذين انتهى إليهم علم تلك الكتب وبلغوا فيه الغاية، فصاروا أهل دراية واختصاص، ولما كان الأصل في كل أمر يعتريه الاشتباه أن يُرجع فيه إلى أهله، كان علم هؤلاء حجة على غيرهم؛ إذ قول أهل الخبرة معتبر في مجاله، ولا يُلتفت بعده إلى قول من لا معرفة له، وعلى هذا النحو، لما أدرك السحرة المهرة حقيقة ما جاء به موسى عليه السلام، وعلموا أنه

معجزة لا سحر، سقط اعتبار قول غير المختصين⁴²، وكذلك الحال في شهادة علماء بني إسرائيل بصدق القرآن، فإنها تقطع الشبهة وتبطل دعوى الطاعنين.

7- إحالة القرآن على القرآن في الاحتجاج، هذا النهج يعد الغالب في القرآن الكريم، سواء في سياق الشبهة أم في غيرها، إذ يُحيل القرآن إلى آياته احتجاجاً، وقد تكون الإحالة إلى الكتاب كله بالمجمل، أو إلى جزء منه تحديداً. ويبيّن ذلك فيما يلي:

أ- إحالة القرآن في الرد على الشبهة على القرآن بمجمله، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۖ﴾ [المؤمنون: 68]، وذلك بعد قوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجَّرُونَ ۖ﴾ [المؤمنون: 67]، وقد أشار الباحثان، نقلاً عن البيضاوي⁴³، إلى أن المقصود ب(تسمرون) هو تمضية الوقت في ذكر القرآن والطعن فيه، كما بين ابن كثير أنهم كانوا يذكرون النبي ﷺ في سمرهم ويضربون له الأمثال، ويقولون: شاعر، كاهن، أو مجنون، فأنكر الله عليهم عدم تدبر معاني القرآن⁴⁴، ويظهر هذا الإنكار أن القرآن يُحتج به على صدقه، سواء من خلال مضامينه العامة أم من خلال الإحالة إلى معانيه الكلية.

ب- إحالة القرآن على شيء من معانيه، يشمل ذلك الإحالة على الأمثال والمعاني الجزئية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝٥٨﴾ [الروم: 58]، كما أحال القرآن على إعجازه الغيبي من خلال ذكره أخباراً لا يعلمها إلا الله عز وجل، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَأُطِيعُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَنَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: 5-6]، وقد أفاد الرازي بأن قوله تعالى: (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ) يُعد جواباً عن الشبهة؛ لأن القرآن يشتمل على الإخبار عن الغيوب، وهو أمر لا يتأتى إلا من العليم بكل شيء⁴⁵، فتصريف الله تعالى في القرآن الكريم من القصص والأمثال والوعد والوعيد والحكم والأحكام يظهر جلياً لأي متدبر، فهو دليل يبين الحقائق، وتُكشف به الأمور، وتنقطع به الحجج على المخالفين وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: 111]، حيث يشمل تفصيل كل ما يحتاج إليه العباد من الحلال والحرام والشرائع والأحكام⁴⁶.

8- التصدي لفروع الشبهة، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا³² وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا³³﴾ [الفرقان: 32-33]

كان اعتراض الطاعنين على نزول القرآن مُنجمًا فرعًا عن أصل الشبهة وهو الطعن في مصدريته القرآن الكريم، فقالوا (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي أنهم توهموا -بفكرهم الفاسد- أنه لو كان القرآن من عند الله سبحانه وتعالى، لُنزل كاملاً دفعة واحدة دون تفريق، معتبرين التدرج دليلاً على التدخل البشري، فأجابهم الله تعالى بالحكمة من هذا التدرج، إذ يُمكن النبي ﷺ وأصحابه من فهم المعاني والتدرج بالأحكام⁴⁷، كما بينت الآية أن الله سبحانه وتعالى تكفل بالتصدي لكل شبهة منهم، مؤكداً أن الطاعنين لا يأتون بمثل هذه الادعاءات، إلا جاءهم القرآن بالحق الدامغ، وبأوضح تفسير وأحسن بيان⁴⁸، وبيّن سبحانه أن القرآن (أحسن تفسيراً) لتدلك دعاوي لما فيه من المزية في البيان والظهور⁴⁹.

وينوه الباحثان إلى أن ما تقدّم من أفانين الرد القرآني لا يردّ -في الغالب- مفصولاً بعضه عن بعض، بل يأتي ممزوجاً متداخلاً، بحيث يتعاوض أكثر من مسلك في سياق واحد، ويتجلى ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سُمِرًا تَهْجُرُونَ⁶⁷ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ⁶⁸ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ⁶⁹ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرْتُمْ لِلْحَقِّ كُرْهُونَ⁷⁰ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ⁷¹ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الرَّزْقِينَ⁷²﴾ [72-67: المؤمنون]، إذ يلحظ الناظر إحالة القرآن على القرآن في الاحتجاج، ثم الاستدلال بسيرة النبي ﷺ ومعرفتهم به، ثم تجلية الحقيقة بإثبات مجيئه بالحق، ثم كشف سبب امتناعهم وهو كراهية الحق واتباع الأهواء⁵⁰، ثم سوق فرض التسليم ببيان ما يترتب على اتباع الأهواء من فساد السماوات والأرض، ثم نفي العلة المانعة من الانقياد بإبطال شبهة المصلحة الدنيوية أو الطمع في عَوْضٍ مادي⁵¹، وفي مقابل هذا العرض المركّب قد يقتصر السياق على بعض تلك المسالك دون بعض، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا⁵ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا⁶﴾ [5-6: الفرقان]، إذ اقتصر الرد على تجلية الحقيقة بإسناد إنزال القرآن إلى العليم بالسر في السماوات

والأرض، مع لفتٍ بليغٍ إلى جانب الطاعن في قوله: (إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)، وسيُفرد هذا الجانب ببيانٍ مفصّلٍ في موضعه المناسب من البحث.

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن في معالجته للشبهة لم يكن يستطرد في بسط القول أو يُطيل في مناقشتها، بل يقتصر على ما تتحقق به الحُجّة وتقوم به البينة؛ إشعارًا بكفاية ما سلف من الدليل، وعدم الحاجة إلى مزيد بيان، وفي ذلك تنبيهٌ منهجيٌّ إلى أن المستدلّ متى أقام برهانًا قويًا مستقيمًا لا مدخل للنقض عليه، لم يكن من الحكمة أن يستأنف دليلًا آخر إزاء خصمٍ معاند؛ إذ الزيادة بعد تمام الحجة ليست من مقتضى إحكام الاستدلال، والله أعلم⁵².

ختامًا لهذا المبحث، وبعد تحرير المنهج القرآني في معالجة محورذات الشبهة وبيان أساليبه في الرد، يتضح أن هذه الأساليب -المتعلقة بذات الشبهة- لا تُعدّ مجرد تقرير نظري يُستحضر في سياقه التفسيري فحسب، بل هي إطارٌ مرجعيٌّ ينبغي الاستفادة منه في واقع الخطاب المعاصر المتصدي للطعن في مصدر القرآن الكريم، إذ إن الابتعاد عن الأساليب القرآنية في الرد يفضي إلى الزلل. ومن ثم، يصبح الالتزام بتفعيل هذه الأساليب بما يناسب المقام ضرورةً ملحة، وذلك لسببين رئيسين:

1- تكفّل القرآن بالتصدي لكل طاعن بأحسن تفسير وبيان⁵³: فالقرآن يعرض استدلالاته وحججه بأسلوب جليّ لا يقبل النقض، مما يجعله مرجعًا ونموذجًا يُحتذى به في مواجهة الشبهات المعاصرة.

2- مستوى الشبهات التي عرضها القرآن من جهة القوة: فهي -في ميزان البرهان- لا ترقى إلى قوة حقيقية، بل تمثل أصول الطعن التي أثارها المكذبون، ولو وُجدت شبهات أشدّ أثرًا وأمتن حجةً لكان عرضها القرآن وأبطالها من باب أولى؛ إذ لا يُتصوّر أن يُغفل ما هو أقوى ويقتصر على ما هو دونه، وانتفاء ذلك يدل على أن أساليب القرآن في الرد على الشبهات قد عالجت أعلى مستوى من الطعن الممكن، وهي بالتالي قادرة على التصدي لكل شبهة أخرى دونه، فكل شبهة طارئة أوهن من تلك التي دحضها القرآن، وتندرج تحتها أو دونه رتبةً، ومن هذا يتضح أن الانحراف عن أسلوب القرآن في الرد يفضي إلى الزلل⁵⁴، بينما الالتزام بمنهجه يضمن إحكام الحجة، واستئصال الباطل من جذوره، وتثبيت الحق، بما يجعل من أساليبه نموذجًا مرجعيًا في مواجهة الشبهات المتجددة.

ومما لا يُنكر أن للباحثين المعاصرين جهوداً مشكورة في الذبّ عن القرآن الكريم وكشف زيف كثير من الشبهات المتجددة، وقد أسهمت تلك الجهود في سدّ ثغرات علمية مهمة وإحياء مسار الدفاع العلمي في وجه حملات الطعن، غير أن المتأمل -بحسب ما تيسّر من الاطلاع- يلحظ أنها تفتقر إلى تأصيل منهجي واضح لآلية الرد، إذ يغيب ذكر المنهج المعتمد في معالجة الشبهة، فضلاً عن تحرير منهج القرآن الكريم نفسه وبيان أساليبه القرآنية في التفنيذ والإبطال للقارئ⁵⁵.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بالطاعن.

اعتنى القرآن الكريم في منظومة ردّه على الشبهات بالطاعن، فجعل جزءاً من الرد معنيّاً بذات القادح، دليلاً على حكمة الله عز وجل ورحمته، ويورد في شأن الطاعن أموراً متعددة بأساليب متنوعة، فيها صلاح للطاعن إذا كان صادقاً في طلب الحق ومتوجّهاً إلى الله بقلب سليم. ومن هذه الأساليب:

1- الدعوة للتفكير: ومن ذلك ما سبق الإشارة إليه عند إحالة القرآن على القرآن في الرد على شبه الطاعنين، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [68: المؤمنون]، وهو يدل على أن القرآن في معالجته للشبه يمزج بين الردّ على مضمون الشبهة نفسها والعناية بحال الطاعن وموقفه، ومن الأمثلة الأخرى التي حثت الطاعنين على التأمل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۚ ۝١٨٤ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥﴾ [184-185: الأعراف] إذ حثهم على النظر المؤدي إلى العلم⁵⁶، ثم ختم بالتعجيب من حال كل متدبر نكص على عقبيه، فالحقائق القرآنية جلية لمن وهب الله له قلب يعقل به.

2- الوعيد والتهديد والزجر: يظهر هذا الأسلوب جلياً في الرد على الشبهات حين يكون الطاعن مستكبراً ومصرّاً على الكفر، إذ إن الاستمرار في العدول عن الحق عند هذه الفئة يستدعي أسلوب الزجر والوعيد الشديد، يقول الرازي: "المرء إذا استمر على كفره فليس ينفع فيه إلا الزجر الشديد"⁵⁷، ومثاله عندما ذكر الله تعالى مقال الطاعنين في كتابه، وهو قولهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم مفتري أو مجنون، وبين حالهم فاستأنف بعد ذلك فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيَّنَّ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِم كِسَفًا مِّنَ

السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ [9: سبأ] ويأتي هذا الاستئناف مسوقاً مساق التهويل لما تجرأوا عليه من الطعن في القرآن الكريم، وهو موجب لنزول أشد العذاب بهم⁵⁸.

3- رحمة الله عز وجل بالطاعين، وهذا ملمح بارز من وجوه عدة منها:

أ- إبراز حلم الله تعالى في معاملة الطاعين ودعوته إلى الإنابة والعودة، يظهر هذا الملمح في الآية السابقة من سورة سبأ، فأما وجه حلم الله وإمهاله للطاعين فهو تأجيل العقوبة وعدم معاجلتهم بها، وأما وجه الدعوة إلى التوبة والإنابة فهو مختزل في قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ)، قال أبو السعود: "وفيه حث بليغ على التوبة والإنابة"⁵⁹. ويتبع القرآن هذا النهج في مواطن متعددة⁶⁰، بما يبرز رحمته سبحانه بالطاعين.

ب- الاستدلال على الطاعين بالطف وجوه الاستدلال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [22: التكوين]، يقول الألوسي: "وفي التعرض لعنوان الصحبة مضافة إلى ضميرهم على ما هو الحق تكذيب لهم بالطف وجه؛ إذ هو إيماء إلى أنه عليه الصلاة والسلام نشأ بين أظهركم من ابتداء أمره إلى الآن فهم أعرف به"⁶¹.

ت- إزاحة المعاذير والحجج المانعة من الامتثال، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى عن المكذبين بالقرآن، حين قال احتجاجاً عليهم: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّعْرَمٍ مُّتَقَلُّونَ﴾ [46: القلم]، فإزالة هذه العلة المانعة تجعل الأمر أقرب للتصديق، لئلا يمتنعوا عن الإجابة بسبب ما يلزمهم من الأجر⁶²، وكان مقام ذكر هذا الأمر في الاحتجاج، مع أن المعنى يتضمنه اللطف والرحمة بهم.

ث- دعوة الطاعين للإخلاص والتجرد والنظر بموضوعية: فإن سبيل ذلك لا محالة يؤدي إلى الوصول إلى الحق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَىٰ وَفَرَّدَئِ تُمْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46] وفي هذه الآية دعوة للطاعين إلى النشاط والهمة، بحيث يجعلوا الغاية من ذلك اتباع الصواب والإخلاص للمولى، سواء جماعة متباحثة أم متناظرة، أم فرادى كلٌّ يخاطب نفسه⁶³، وحينئذٍ سيتبين لهم الحق بجلاء.

4- التحدي: ومن أساليب الاحتجاج على الطاعين الذي يدعي أن القرآن كلام البشر أسلوب التحدي، فقد تحداهم القرآن على مراحل متدرجة: أولاً بالإتيان بمثل القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بِلَلَّ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٣٣ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٣٤ [الطور: 33-34]،

ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٣﴾ [هود: 13]، ثم تحداهم بسورة واحدة من مثله، فقال: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣﴾ [البقرة: 23]، والحقيقة أنهم عجزوا عن ذلك، وهو ما يصدق قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾ [الإسراء: 88]، ويعدّ هذا الأسلوب من أقوى أساليب الاستدلال، فإن بقي الطاعن مستكبراً⁶⁴ لا يعترف بصدق نسب القرآن إلى الله تعالى، فالتحدي بسورة من مثله يُظهر عجزه ويقضي على دعواه، وكل من يسلك هذا الدرب فدأبه دأب المهوت المقطوع، فقد علم الكل بأن هذا القرآن مُعجز لا يستطيعه بشر⁶⁵.

5- النعي على الطاعن لغياب مستنده، ومثاله عندما ذكر الله تعالى قدح الكافرين في القرآن الكريم بقولهم إنه سحر، فاحتج عليهم سبحانه وتعالى، فقال: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ٤٤﴾ [44: سبأ]، فلما بين الله أقوالهم الطاعنة في القرآن هي دون مرتبة الشبهة فضلاً أن تكون حجة، تبين أنهم يفتقرون إلى أي مستند يحتجون به، فلا عُدّة لهم في ذلك، كما أنه لم يُرسل إليهم من قبل نذير ليكون عندهم من أقواله وأحواله ما يدفعون به ما جاءهم به النبي ﷺ، فليس عندهم علم ولا أثارة من علم⁶⁶.

6- قرع الطاعن بحقيقة حاله وأسباب قدحه: هذا الأسلوب يُعري الطاعن أمام نفسه مؤثراً فيه تأثيراً بليغاً، ويتجلى هذا الأسلوب بوضوح في الردود على المفترين، إذ يكشف الله عز وجل لهم سبب عدم إيمانهم بالقرآن الكريم، ومثاله قوله تعالى: ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ٨﴾ [8: سبأ]، فأجاب الله عن ترددهم الوارد في صيغة الاستفهام، فأبطل شقي التهمة، مثبتاً قسماً ثالثاً وهو الكشف عن حقيقة الحال، فكانه قال: ليس الأمر كما زعموا، بل في غاية الضلال عن الفهم والإدراك وفي كمال اختلال العقل الذي هو الجنون حقيقة⁶⁷، وفي مواضع أخرى بين الله سبب قدحهم في القرآن، كما في قوله كما في قوله: ﴿اتَّوَاصُوا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣﴾ [53: الذاريات]، ذكر الله الأقوال القادحة في القرآن (سحر وجنون)، ثم عقّب على ذلك بالتعجب من تواطؤ الطاعنين على الأقوال

رغم افتراق زمانهم، ثم أبطل ذلك التواصي وبين العلة الجامعة لهم، وهي كونهم طغاة مستعيلين في الأرض⁶⁸.

وقد يقول قائل تعليقا على بعض ما ذكر الباحثان من النقاط سواء أكانت في هذا المطلب⁶⁹ أم في المطلب الأول⁷⁰: كيف يتأتى لهذا الكلام أن يُعتبر من قبيل الردود؟

أشار الرازي⁷¹ إلى هذه المسألة في أكثر من موضع، وكان يُعوّل على إثبات إعجاز القرآن بإظهار عجز كل من تحداه بالمعارضة، فهذا الأمر معلوم، فاكتفى الله عز وجل بمثل هذه الردود⁷²، وكلام الرازي مُشعر بأن ما جاء عقب طرح الشبهة ليس ردّاً لها، ويرى الباحثان أنه أصاب من وجه؛ وهو كون القرآن مُعجزاً وقد علموا ذلك واستقر عندهم⁷³، وأبعد النُّجعة من وجه آخر؛ وهو كون اعتبار ما قيل ليس بجواب عن الشبهة، وذلك لأنه ليس بالضرورة أن يكون جواب الشبهة هو مناقشة الشبهة ذاتها، وهذا من البلاغة التي يُراعى فيها المقام مقتضى حال الطاعن والداعية، ويوجد من المفسرين من اعتبر ذلك جواباً ورداً، وبين أن في الجواب ذاته أموراً أخرى تخللته⁷⁴، ويضاف إلى ذلك أن قول الرازي يُثير سؤالاً، وهو: إن كان ذلك كذلك فلماذا يُكرر القرآن ذكر الشبهة ولا يُكرر رد التحدي؟ ولماذا يُغايّر في التعقيب باختلاف الموضوع؟ ولا شك أنه جاء مناسباً لذلك المقام، فهذا حقيقة موضع للبحث والدراسة.

والذي يظهر للباحثين من خلال النظر أنه إن كان هناك وجه رئيس للردود والاستدلال على صدق القرآن الكريم، فهو القرآن ذاته، ولهذا قال تعالى في بداية سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ أَلْكِتَبُ لَا رَيْبَ﴾ [2: البقرة]، فكل ما جاء به القرآن الكريم من معانٍ ونظم، وكذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، مؤيد لانتفاء الريبة عنه ودالٌّ على صدقه.

ختاماً، يتبين من خلال استقراء القرآن الكريم في تصديه للشبهات أنّ الله تعالى لم يقتصر على الرد على مضمون الشبهة فحسب، بل أولى جانب الطاعن عناية خاصة، إذ يُعنى بما في صدره وبحاله النفسي والروحي، فهو أعلم بما يحتاجه وكيف تُقام الحجة عليه، وهذا الاهتمام يظهر أثره البليغ في نفس الطاعن، سواء بدفعه نحو التفكير والتأمل أو بإبراز حقائق حاله وكشف زيف ما يدّعيه، أو بدعوة الإخلاص والإنابة، أو حتى بالوعيد والزجر حين يقتضي الموقف ذلك، ومن هذا المنطلق، يُستفاد أنّ التصدي للشبهات المعاصرة لا ينبغي أن يقتصر على الرد على مضمون الشبهة وحسب، بل يجب أن يُعاد النظر في إعطاء الطاعن حظّه في الرد، بما يصلحه

ويقوده إلى الوعي بالحق، مراعيًا حاله وموقفه، بحيث يكون الرد جامعًا بين بيان فساد الشبهة والعناية بالطاعن، كما هو منهج القرآن الحكيم في مواجهة الطاعنين، لما لذلك من أثر بليغ في كشف الباطل وتثبيت الحق.

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في الرد المتعلق بالداعية.

أولى القرآن الكريم الرسول ﷺ، في سياق الرد على شبهات الطعن في مصدريته كتاب الله، حظًا كبيرًا من العناية والأهمية، فجعل ذلك جزءًا من منظومة الرد، يُبين له فيه أوامر يعمل بها، ووسائل وآليات يتحرّز بها مما قد يلحقه من أذى، فكان الخطاب يلتفت إلى حالته الوجدانية، فينصره ويؤيده، ويثبت قلبه، وقد ظهرت هذه الجوانب في غالب الردود ظهورًا جليًا؛ تارة مجتمعة، وتارة متفرقة، حتى تكتمل بها صورة الرد في أبعاده كافة.

فبوتقة الرد التي جاء بها الوحي لم تكن غايتها هدم الشبهة فحسب، وإن كان ذلك قد تأتى في ثنائها، ولم يكن توجيه الخطاب منصرفًا إلى ذات الشبهة فقط، بل كان شطرًا منه رافعةً بالداعي وحرصًا على تحصينه. ومن هذه الأوامر والوسائل والآليات:

- 1- المفاصلة والبراءة من الطاعن بعد إتمام الحجة، ومن ذلك ما ساقه الله تعالى في شأن الطاعنين المكذبين غير المؤمنين، وذلك عقب ذكر شبهة افتراء القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، إذ قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ٤١﴾ [41: يونس]، ففي ذلك معنى المتاركة⁷⁵، وقيل: هذه المتاركة في المقابلة لا مطلقاً⁷⁶.
- 2- التثبيت النفسي للداعية، وذلك من خلال تسليته وتطمينه والتكفل بنصرته، وقد قديم ذلك بأفانين من الخطاب، منه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ٧٠﴾ [70: النمل]، وهذا النهي جاء عقب ذكر قول الطاعنين إن المعاني التي جاء بها القرآن، ومنها البعث، ما هي إلا أساطير الأولين، والآية جامعة بين إزالة الغم الحادث بسبب كفرهم، وبين إزالة الخوف من جانبهم، حتى صار هذا الجمع بمنزلة التكفل بنصرته عليهم⁷⁷، وقد ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ آلَ عِزَّةٍ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [65: يونس] أن من أقوالهم قولهم: إنه شاعر مجنون، فأمره الله بعدم الحزن، ووعدته بالنصر⁷⁸، ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ١١﴾ [10-11: الحجر]، وقد وردت

هذه الآيات عقب ذكر قول الطاعنين إنه ﷺ مصاب بالجنون حاشاه، فجاءت تسلية له⁷⁹، بأسلوب قياس حاله بحال من سبقه من الأنبياء عليهم السلام.

3- إرشاد الداعية وتوجيهه عملياً إلى ما يُعينه على الثبات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾⁹⁷ فَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ⁹⁸ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ⁹⁹ [97-99: الحجر]، والمقصود بقوله: (بِمَا يَقُولُونَ) هي الأقوال الكفرية الطاعنة في الرسالة؛ كادعاء السحر والجنون والكهانة والكذب⁸⁰، فأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالفرع إليه للكشف عما نابيه من ضيق وحيرة، وألزمه بالتمسك بالعبادات التي تُعينه على الثبات، كالصبر على ما يُجرعه قومه من الغُصص⁸¹، والاستغفار والتسبيح، والاستعاذة⁸² من حال هؤلاء الطاعنين المستكبرين الحاسدين وشرهم، في جميع أموره على الإطلاق⁸³.

4- حث الداعية على الثبات في تبليغ الحق والجهر به، والتمسك بمهمته النبيلة دون أن تثنيه أقوال القادحين الطاعنين، كما في قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾⁹⁴ [94: الحجر]، جاء هذا التوجيه بعد ذم المقتسمين الذين جزأوا القرآن إلى أجزاء، وزعموا أن بعضه شعر وبعضه كهانة وبعضه سحر وبعضه أساطير الأولين، فجعلوه أعضاء⁸⁴، فأمر الله رسوله ﷺ ألا يلتفت إلى هذه المزاعم، وأن يمضي في دعوته بثبات، مُبلِّغاً رسالته لكل الخلق، حتى تثبت الحجة عليهم، ويظهر الحق بجلاء⁸⁵.

5- تعليم الداعية آليات ومنهجيات الرد، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فَلَا مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹⁵ [15: يونس]، فالناظر في الآية يلاحظ أن الله أمره أن يُجيب عن طلب التبديل لا عن الإتيان بغيره، وفي ذلك إشارة إلى الاكتفاء بالرد الشبهة الأصعب، بما يكفيه مؤنة الإجابة على الشبهة الأسهل⁸⁶، كما جاء الرد مُعلماً للداعية بأن يجيب بإجابات موجزة شافية وافية.

6- تحصين الداعية؛ وذلك بنهيه عن الاعتراض بتمكين أهل الباطل في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلْدِ﴾⁴ [4: غافر]، والمجادلة هنا تعني رد آيات الله ومقابلتها بالباطل⁸⁷، وآيات الله يُقصد بها القرآن⁸⁸.

7- دعوة الداعية إلى النظر والتأمل في أقوال القادحين للاعتبار، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ٤٨﴾ [الإسراء: 48]، والأمثال التي ضربوها تمثل أقوالهم عن النبي ﷺ بأنه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون⁸⁹، وفي حث النبي على النظر والتأمل تعجيب⁹⁰ له من حال الطاعنين.

8- الإعراض عن الطاعن المستكبر، وألا تذهب نفس الداعي عليهم حسرات، إذ إن أمر الهداية والضلال بيده سبحانه وتعالى، كما في قوله سبحانه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ٥٤﴾ [54: الذاريات]، وقد جاء هذا التوجيه عقب ذكر أقوال الطاعنين عنه ﷺ بأنه ساحر أو مجنون، فأمره سبحانه أن يتولى عنهم ولا ينسب لنفسه ﷺ التقصير⁹¹.

ختامًا، يتضح أن الداعية هو المتصدر الأول لمواجهة الشبهات، وعليه أن يستحضر ذاته ووسائله الروحية والنفسية، مستنيرًا بالآيات التي خصت الداعية بالنصرة والتثبيت والتحسين، فالقرآن لم يترك الداعية لمواجهة الطاعن دون استعداد منهجي، بل زوّده بتوجيهات عملية تشمل تثبيت النفس أمام ما يُدعى من الباطل، وحثه على الصبر والعبادة واليقظة الفكرية، وتعليمه آليات الرد بوضوح وحكمة، حتى يكون الرد متقنًا ومؤثرًا.

ومن ثم، فإن نجاح الداعية المعاصر في تنفيذ الشبهات لا يتحقق بمجرد مناقشة مضمونها، بل يتطلب أن يكون متسلحًا بالوعي الكامل مستحضرًا الآيات التي تقويه وتؤيده، مراعيًا حال الطاعن وظروف الدعوة، بحيث يكون الرد نافعًا في كشف الباطل وإرساء الحق.

ومن المهم التنبيه إلى فرق جوهري دقيق بين الاستفادة من المحاور الثلاثة منفصلة خلال التصدي للشبه وبين بيان ووصف المنهج القرآني للرد عليها؛ فالقرآن قدّم منظومة ثلاثية متكاملة تعتمد على علمه سبحانه وتعالى فهو الذي يعلم ما يوعون ويعلم ما في الصدور، وما يصلح العباد في كل موقف وهذا لا يتأتى لأحد غيره سبحانه وتعالى.

وبعد هذا البيان، تظهر ملامح من الإعجاز في رد القرآن الكريم على الطاعنين، وذلك لأن الرد في بعض الأحيان ليس مقصودًا لذاته، وإن كان ذلك حاصل تبعًا، بل هو منظومة ممزوجة ببعضها ببعض، متنوعة الأساليب ذات أفانين عديدة، تتمركز حول ثلاثة محاور: (الداعية والطاعن والشبهة)، مُحققه في سيرها رسالة القرآن الكريم إنذارًا وتبشيرًا، فتموج بك الردود بين الرأفة والرحمة، وبين الزجر والوعيد للطاعن، وبين تحسين وتنبيه وتبشير للداعية، وفي طيات

ذلك يتأتى تفنيد الشُّبهة، والمتدبر يرى بونا شاسعا بين هذه البوتقة وبين النزعة البشرية المنتصرة لذاتها، كيف لا وهو الفرق بين الخالق والمخلوق!

8-الخاتمة.

توصل الباحثان في نهاية هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، وأعقبها ببعض التوصيات:

أولاً: النتائج:

- 1- جاء ردُّ القرآن الكريم على الشُّبُه في نسقٍ متكامل، يقوم على منظومةٍ مترابطةٍ من ثلاثة محاور، يتداخل بعضها مع بعض ولا ينفك أحدها عن الآخر.
- 2- تتمحور معالجة القرآن للشُّبُه حول ثلاثة أبعاد رئيسة: الطاعن، والداعية، والشبهة ذاتها، بحيث يُوجَّه الخطاب إلى كلّ بُعْدٍ بما يناسبه.
- 3- إن الاختصار على مناقشة الشبهة ذاتها عند دراسة منهج القرآن في الرد يُعدّ قصوراً منهجياً يُخلّ بطبيعة المعالجة القرآنية الشاملة.
- 4- تنوّعت المناهج والأساليب في التصدي للشبهة ذاتها تنوعاً ملحوظاً؛ فشملت أساليب النفي، وترك الجواب في مواضع مخصوصة، وتجلية حقيقة القرآن، وتفعيل الاستدلال العقلي، إلى جانب غيرها من المسالك البيانية والحجاجية.
- 5- كما تنوّعت الأساليب المتعلقة بالرد على الطاعن؛ فمنها كشف الدوافع الكامنة وراء الطعن، والدعوة إلى التفكّر، والزجر والوعيد، وبيان تهاافت المستند، إلى جانب ما يظهر في بعض المواضع من خطابٍ يتسم بالرفقة والرحمة.
- 6- تجلّى في الجانب المتعلّق بالداعية توجيهٌ قرآنيٌّ يهدف إلى تحصينه وتعليمه آليات الرد ومنهجيته، وحثّه على المضي في الدعوة، مع توجيهه إلى الإعراض عمّن يتلبّس بالاستكبار ونحوه بحسب مقتضى الحال.
- 7- ويبرز في هذا السياق ملمحٌ من ملامح الإعجاز؛ إذ إن طريقة القرآن في معالجة الشُّبُه، ضمن سائر وجوه نظمه وبيانه، تمثل بعداً من أبعاد إعجازه.
- 8- ويتسم الخطاب القرآني في الرد بالتنوّع والتدرّج؛ فقد يجمع بين عدة أساليب في الموضوع الواحد، وقد يقتصر على أسلوبٍ بعينه وفق ما يقتضيه المقام.

9- يُظهر البحث فرقاً جوهرياً ودقيقاً بين الاستفادة العملية من المحاور القرآنية الثلاث أثناء التصدي للشبهات، وبين وصف المنهج القرآني الكامل، الذي يمثل منظومة ثلاثية معجزة تعتمد على علم الله بما في الصدور وما يصلح العباد للاستفادة ممكنة جزئياً ووفق مقتضيات المقام، أما المنهج الكلي فلا يبلغه إلا الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: التوصيات:

في نهاية هذه الدراسة يوصي الباحثان بدراسة الآتي:

- 1- يُوصى بإجراء دراسة تحليلية مقارنة تُعنى برصد تغاير الأجوبة القرآنية عن الشبهة الواحدة باختلاف المواضع والصور، واستجلاء ما يكشفه ذلك من مراعاة السياق وتنوع المقاصد الخطابية في النظم القرآني.
 - 2- يُوصى بتخصيص دراسة بلاغية مستقلة لأساليب نفي الريبة والشك عن القرآن الكريم في سورة يونس عليه السلام، تُبرز مكوّناتها البيانية والحجاجية، وتكشف عن وجوه الأحكام في بنائها الدلالي.
- والله ولي النفع برحمته.

المصادر والمراجع:

- 1- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- 2- الإيجي، محمد بن عبد الرحمن، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).
- 3- البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).
- 4- البقاعي، إبراهيم ابن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، تحت مراقبة: د محمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، ومدير دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد/ الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٩ - ١٤٠٤هـ) (١٩٦٩ - ١٩٨٤م)).
- 5- البلخي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ).
- 6- البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

- 7- جاهين، أحمد الأمير، (الرد القويم على من طعن في مصدر القرآن الكريم) بحث محكم: مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، 2008م، (ع)10.
- 8- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دَرْجُ الدُّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ، تحقيق: القسم الأول (طلعت صلاح الفرحان)، القسم الثاني (محمد أديب شكور أمير) أصل التحقيق: أطروحتي دكتوراة للمحققين، (عمّان: دار الفكر، 1430 هـ - 2009 م).
- 9- الجزائري، جابر بن موسى أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٣م).
- 10- ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، (لبنان: دار الكتاب العربي، 1403هـ).
- 11- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).
- 12- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
- 13- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صديقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).
- 14- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ).
- 15- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (بيروت: دار القلم، دمشق: الدار الشامية، ط1، ١٤١٢ هـ).
- 16- رضا، محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).
- 17- رضوان، عمر إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ - 1992م).
- 18- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- 19- أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- 20- السمعاني، أبو منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

- 21- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، ط1، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م).
- 22- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ).
- 23- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، (الرياض: دار عطاءات العلم، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م).
- 24- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001 م).
- 25- الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997 - 1998 م).
- 26- الطيبي، الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم، (جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م).
- 27- ابن عادل، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، شارك في التحقيق: محمد سعد رمضان (أطروحة دكتوراة من سورة مريم آية 59)، إلى آخر سورة القصص) محمد المتولي الدسوقي (أطروحة دكتوراة من سورة العنكبوت إلى آخر سورة القمر)، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1419 هـ - 1998 م).
- 28- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ).
- 29- عمارة، محمد عمارة مصطفى، شبهات حول القرآن.
- 30- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422 هـ).
- 31- ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).
- 32- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التميز، تحقيق: محمد علي النجار، (طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، 1416 هـ).
- 33- (قرد، حمزة)، (بوخالفه، السعيد)، شبهات المستشرقين حول مصدريّة القرآن الكريم وأثر الإعجاز القرآني عليها، مجلة المحترف، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، جامعة زيان عاشور الجفلة، 2025 م، (ع1، مج1).
- 34- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م).

- مجلة الهلوان للدراسات الإسلامية والقانونية

الهوامش:

- 1 أحمد بن فارس (ت 395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج 3، ص ٢٤٣.
- 2 محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، (ط3)، ج 13، ص ٥٠٣.
- 3 إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (ط4)، ج 6، ص ٢٢٣٦.
- 4 عبد الكريم زيدان (ت 1435هـ)، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، (ط9)، ص 426.
- 5 محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، بصائر ذوي التمييز، تحقيق: محمد علي النجار، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1416هـ، (ط2)، ج 5، ص ١٢٨.
- 6 ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص ٣٨٣.
- 7 ينظر: الحسين بن محمد المعروف بالرغب الأصفهاني (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، ١٤١٢هـ، (ط1)، ص 825.
- 8 أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (ط1)، ج 4، ص 224.
- 9 تهمة الجنون موجبة للنبي صلى الله عليه وسلم وليس للقرآن الكريم، ولكن تناولها الباحثان لأن وصف الطاعنين لنبينا صلوات ربي عليه بالجنون إنما كان عندما يُعرض له حال الغثي عند نزول الوحي فقالوا الجن يُلقي عليه كلمات. ينظر: محمد بن عمر الرازي (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ج 27، ص 658. ودليل قصدهم القرآن أن الإجابة جاءت ببيان حقيقة القرآن أنه ذكر للعالمين وليس جنونا قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٥٢﴾ [القلم: 52-51]. ينظر: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت 1393هـ)، أضواء البيان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ، ج 8، ص 256.
- 10 تهمة الشعر موجبة للنبي صلوات ربي عليه، ولكن تناولها الباحثان لأن الطاعنين اتهموه بالشعر عند تلاوته للقرآن الكريم. ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 26، ص 304.
- 11 يقول الطاعنون في القرآن (المشركين) أن القرآن مصدره شيطاني، يأتي به شيطان فيُلقيه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 31، ص 70. والقول بأن القرآن مصدره شيطاني مآله وصف النبي بالكهانة، فالكاهن من يستعين بالشياطين. ينظر: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ، هذا القول مآله وصف النبي بالكهانة.
- 12 كان يتناول بعض المفسرين هذه التهم باسم الشبهة. ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 111، ج 19، ص 121.
- 13 ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص 597.
- 14 ينظر: جاهين، أحمد الأمير، (الرد القويم على من طعن في مصدر القرآن الكريم) بحث محكم: مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، 2008م، (ع) 10، ص 416؛ عمارة، محمد عمارة مصطفى، شبهات حول القرآن، ص 12.
- 15 يُعرض بالرد في بعض المواضع على الرغم من أنه قد يُصرَّح بالرد في موطن الشبهة أصالة، ويرى الباحثان أن في هذا ملمحا وهو مراعاة من ليس بطارح شبهة من أن تتسلل له الريبة، فيكون الموضع لغير القادح وقاية وللقادح تعريضا.

- 16 ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ)، ج4، ص249.
- 17 علل الرازي عدم الرد على الشبهة وذلك لغاية فسادها وظهور عوارها. ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، ص187.
- 18 ينظر: مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، 1423هـ، ج3، ص161.
- 19 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص432.
- 20 ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص14.
- 21 كان الرد على القول بأنه شعر وكهانة وفرية، وهذه ثلاث شبه، والرد بمجملة منصب عليها.
- 22 ينظر: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الرياض، دار عطاءات العلم، بيروت، دار ابن حزم، 1441هـ/ 2019م، ج5، ص876.
- 23 اختلف في تفسير (بالحق)، والباحثان تبنيًا قول ابن الجوزي بأن المقصود به القرآن الكريم. ينظر: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1422هـ، ج3، ص267.
- 24 أشار الشنقيطي إلى أن القرآن قد نفى الشبهة في موضع آخر. ينظر: الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ج5، ص876.
- 25 وقد قيل إن القول بأنه (سحر) قد تأتي في معرض المدح وليس فقط في معرض الذم ووجه المدح فيه لكمال فصاحته وتعذر الإتيان بمثله. ينظر: عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، شارك في التحقيق: محمد سعد رمضان (أطروحة دكتوراة من سورة مريم آية 59)، إلى آخر سورة القصص) محمد المتولي الدسوقي (أطروحة دكتوراة من سورة العنكبوت إلى آخر سورة القمر)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ/ 1998م، ج10، ص207. وقال محمد رشيد رضا: "وسمه سحرا لأنه خارق للعادة بقوة تأثيره في القلوب وجذبه للنفوس إلى الإيمان، وحملها على احتقار الحياة ولذاتها في سبيل الله، حتى إنه يفرق بين المرء وأخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه، وفصيلته التي تؤويه، وتمنعه وتحميه". محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج11، ص119.
- 26 أحمد بن موسى بن مجاهد (ت 104هـ)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، 1400هـ، ص322.
- 27 ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، ص322.
- 28 وقد ذكر ذلك الرازي وابن عادل. ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج18، ص188. ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج10، ص207.
- 29 ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ج21، ص294.
- 30 ينظر: الحسين بن عبد الله الطيبي (ت 743هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 1434 هـ/ 2013 م، ج21، ص435.
- محمد سيد الطنطاوي (ت 1431هـ)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997/ 1998م، ج7، ص19.
- 31 ينظر: السعدي، تفسير السعدي، ص379.
- 32 عبد الله بن عمر البضاوي (ت 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1418هـ، ج4، ص91.
- 33 ينظر: البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص91.
- 34 ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص153.

- 35 ذكر السمعاني وجهين للمعنى، منه ما ذكره الباحثان في المتن، والوجه الآخر هو: "تصديق الشيء الذي القرآن بين يديه من القيامة والبعث". أبو منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت 489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج 2، ص 383.
- 36 وذكر الرازي وجهين آخرين وهما، الأول: معي محمد صلى الله عليه وسلم تصديق لما في الكتب السماوية من البشارة بمجيئه، الثاني: إخبار القرآن عن غيوب مستقبله كقوله تعالى: ﴿غَلَبَتِ الْرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [4-2: الروم]، ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 17، ص 253.
- 37 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 17، ص 252-253.
- 38 مثال قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ الْإِنِّ أَفَتَرْتُّهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [8: الأحقاف]، وذكر هذه الآية مع الآية المتناولة بالمتن وآيات أخر الأمين الشنقيطي، وذكر أن هذا على سبيل الفرض. ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج 7، ص 215.
- 39 ينظر: محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م، ج 14، ص 371.
- 40 يُحتمل إدراجه كذلك تحت الاستدلال العقلي من وجه، ولكن الباحثان استحسنا إفراده، وذلك لأن المتخصصين يُحال إليهم في المعضلات من الأمور المتعلقة بفهم أصحاب الصنعة وهم أعلم بها.
- 41 ينظر: علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ج 4، ص 187. وذكر الإيجي أن الكتب هي الكتب المنزلة على بني إسرائيل يعلمها علماءهم فقال "كتبهم". محمد بن عبد الرحمن الإيجي (ت 905هـ)، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ج 3، ص 200.
- 42 ينظر: السعدي، تفسير السعدي، ص 597.
- 43 البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 4، ص 91.
- 44 ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م.
- 45 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 434.
- 46 ينظر: محمد بن أحمد القرطبي (ت 971هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج 9، ص 277.
- 47 بين هذا البقاعي وأشار أيضا إلى أن هذا التدرج أدخل في باب الإعجاز لأنه تحداهم بنجم منه فعجزوا عنه فعلم أن العجز عن أكثر منه أولى. ينظر: إبراهيم ابن عمر البقاعي (ت 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحت مراقبة: د محمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، ومدير دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد/ الهند، دائرة المعارف العثمانية، (١٣٨٩/ ١٤٠٤ هـ) (١٩٦٩/ ١٩٨٤م)، ج 13، ص 379.
- 48 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 457.
- 49 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 457.
- 50 وهذا المنهج متعلق بما يخص الطاعن وسيتم بيانه في موضعه.
- 51 وهذا المنهج متعلق بما يخص الطاعن وسيتم بيانه في موضعه.
- 52 أشار الرازي إلى ما يوحى بشيء من هذا القبيل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ٥٨﴾ [58: الروم]. الرازي، مفاتيح الغيب، ج 25، ص 112.
- 53 قال الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33] قال: "ثم إنه سبحانه وتعالى لما بين فساد قولهم بالجواب الواضح قال: ولا يأتونك بمثل من الجنس الذي تقدم ذكره من الشبهات إلا جنناك بالحق الذي يدفع قولهم" الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 457.
- 54 من الدراسات المعاصرة التي بذلت جهدا معتبرا في هذا الباب، ما قدمه الدكتور عمر رضوان في رده على شبهات المستشرقين، فقد جمع عددا كبيرا من الشبهات وقدم جهدا ضخما مفيدا، غير أنه - ما تضمنه من فوائد - ابتعد عن أسلوب القرآن الكريم في طريقة

التصدي للشبهات، إذ كان يُطيل ويُسهب ولا يكتفي برد واحد قوي شامل، ينظر: رضوان، عمر إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ - 1992م)، ص330-283، والناظر في كتاب الدكتور عمر رضوان يرى أنه تصدى للرد على كل شبهة، وإن كانت واهية، بينما كان الأجدى - في بعض المقامات - اتباع أسلوب قرآني قائم على ترك الرد وعدم ذكر الشبهة أساساً، إذ إن ترك الرد وسيلة فعالة للقضاء على الباطل، في حين أن التصدي لكل شبهة واهية قد يروج لها ويؤدي إلى انتشارها. وقد أشار الباحث نايف بن نهار إلى فعالية ترك الرد في بعض الشبهات، مبيّناً أن الباطل نوعان: باطل يموت بالمواجهة، وآخر يموت بالإعراض عنه، فليس من الضروري المواجهة الدائمة لكل شبهة، ينظر: بن نهار، نايف، كيف يمكن فهمك للقرآن أن يغيّر حياتك بالكامل؟ [حلقة بودكاست]، بودكاست بدون ورق (2025م)، مدة اللقاء ثلاث ساعات، عند 2:15:24 - 2:14:10: <https://www.bing.com/videos/riverview/relatedvideo?q=%D53A2&mid=BD82%9d%1b%8d%88%9+d86%9d%88%9af%8d%8a%8+d1b%8d%7a%8d%87%9d%86%9mCgzz-7fUC2%channel2%www.youtube.com2%fa3%&churl=https6433B0690C481D53A2BD6433B0690C481mCvUbbccg&FORM=VAMGZC3LYRt-a>

55 لم يعثر الباحثان على دراسة تناولت شبهات العصر الحديث - سواء المستمدة من شبهات المستشرقين أو غيرها - مع التصريح صراحة بأن أساليب الرد مستمدة من القرآن. وتجد بعض الدراسات اختارت أسلوباً قرآنياً محدداً كأساس للتصدي للشبهات، وكان ذلك محور عنوان الدراسة، كما في: بحث بعنوان: (قرد، حمزة)، (بوخالفة، السعيد)، شبهات المستشرقين حول مصدريّة القرآن الكريم وأثر الإعجاز القرآني عليها، مجلة المحترف، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، جامعة زيان عاشور الجفلة، 2025م، (ع1)، (مج1). تناولت الدراسة السابقة الرد على شبهات المعاصرين حول القرآن الكريم مستندة إلى الإعجاز القرآني بأنواعه البلاغي والعلمي وغيرها وهو من أسلوب إحالة القرآن على القرآن.

56 ينظر: علي بن أحمد الواحدي، البسيط، (أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسيكته وتنسيقه)، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ، ج9، ص491.

57 الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص491.

58 ينظر: محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي (ت 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج7، ص123.

59 أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج7، ص124.

60 ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ مُّبِينٌ﴾ [2: يونس]، ثم قال خلال الآيات: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ [11: يونس] قال الطيبي: "وبين بعد ذلك صفة عفوه وحلمه بهذه الآية، حيث لم يهلكهم بغتة بما تكلموا به من تلك الشنعاء في كتابه المجيد: (إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ مُّبِينٌ)" الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب (وهو حاشية الطيبي على الكشف)، ج7، ص436. وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْنَاهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شُهيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [8: الأحقاف] فهو غفور كذلك لمن تاب مع عظم ما ارتكبه. ومثال آخر جاء رداً على التهمة بأنه أساطير أولين فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [6: الفرقان] يقول أبو السعود تعليقا على فاصلة الآية: "إنه كان غفورا رحيمًا" تعليل ما هو المشاهد من تأخير العقوبة أي أنه تعالى أزلا وأبداً مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استجابته إياها وغاية قدرته تعالى عليها" أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج6، ص203.

61 الألوسي، روح المعاني، ج15، ص264.

62 أشار إلى هذا المعنى الواحدي عند قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [104: يوسف]. ينظر: الواحدي، البسيط، ج12، ص258.

63 السعدي، تفسير السعدي، ص682.

- 64 ذكر الله تعالى أنهم إن لم يستجيبوا لهذا التحدي وحينئذ فهذا لا يكون إلا اتباع للهوى، وذنم الله ذلك فقال: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥٠﴾ [50: القصص].
- 65 هذا المعنى مستفاد من تفسير الرازي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [51: القصص] وهو وجه من الوجوه التي قيلت في معنى الآية، قال الرازي: "بَيِّنَاتُ الدَّلَالَةِ عَلَى كَوْنِ هَذَا الْقُرْآنِ مُعْجَزًا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 607.
- 66 ينظر: السعدي، تفسير السعدي، ص 682.
- 67 ينظر: أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج 7، ص 123.
- 68 ينظر: محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صديقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، 1420هـ، ج 9، ص 561.
- 69 على سبيل المثال: قرع السامع بأسباب طعنه.
- 70 على سبيل المثال: الرد بالنفي.
- 71 الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 434.
- 72 الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 434.
- 73 وحالهم كالذين قيل فهم قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [14: النمل].
- 74 مستفاد من قول أبي السعود عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [8: سبأ] عد أبو السعود قوله تعالى: (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) جواباً فقال: "جواب من جهة الله تعالى عن تزديدتهم الوارد على طريقة الاستفهام بالإضراب عن شقيه وإبطالها، وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناعٍ عنهم سوء حالهم". أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج 7، ص 123. وفي كلام أبي السعود بيان كيف يُعتبر مثل هذا الكلام جواباً، ومن دقق النظر فيه يرى كيف كشف للقارئ منج الله تعالى الإجابات بأمر أخرى مكنونة في الرد ذاته، وهذا دليل على أن الإجابة ليس مقصودها تحصيل الرد بل بيان أمور أخرى أكثر أهمية وهذا لا يتأتى إلا للحكماء البلغاء.
- 75 عبد الفاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت 471هـ)، درج الدرر في تفسير الآي والسور، تحقيق: القسم الأول (طلعت صلاح الفرحان)، القسم الثاني (محمد أديب شكور أمير) أصل التحقيق: أطروحتي دكتوراة للمحققين، عمان، دار الفكر، 1430 هـ/ 2009 م، ج 1، ص 821.
- 76 محمد الأمين بن عبد الله الهري (ت 1441هـ)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي، بيروت، دار طوق النجاة، 1421 هـ/ 2001 م، ج 26، ص 53.
- 77 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 569.
- 78 ينظر: جابر بن موسى أبو بكر الجزائري (ت 1437هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 1420هـ/ 2003م، ج 2، ص 489.
- 79 ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 3، ص 207.
- 80 ينظر: محمد صديق خان بن حسن القنوجي (ت 1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني به: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ/ 1992م، ج 7، ص 201.
- 81 ينظر: عبد الله بن أحمد النسفي (ت 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، 1419هـ، ج 3، ص 216.
- 82 المقصود موضع سورة غافر من قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ٥٥ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلَّغِيَةٍ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر: 55-56].
- 83 ينظر: محمد بن أحمد بن جزي الكلي (ت 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، لبنان، دار الكتاب العربي، 1403هـ، ج 2، ص 233.
- 84 ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج 3، ص 173. القنوجي، فتح البيان، ج 7، ص 197.
- 85 ينظر: الفرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 61.

- 86 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 17، ص 224. شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ / 1994م، ج 6، ص 79.
- 87 ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 731.
- 88 ينظر: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت 864هـ)، وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، تفسير الجلالين، القاهرة، دار الحديث، ص 618.
- 89 ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج 14، ص 613.
- 90 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص 121.
- 91 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 28، ص 191.

The Methodology of the Noble Qur'an in Responding to Doubts Challenging Its Authority: An Analytical Study

Abstract

Objectives: This study seeks to uncover the methodology of the Noble Qur'an in responding to doubts that challenge its authority, through a comprehensive examination that takes into account three fundamental dimensions: the nature of the doubt itself, the identity of the objector, and the role of the caller, on the premise that addressing these dimensions collectively contributes to a deeper understanding of the Qur'anic response.

Methodology: The study employs three primary methodologies: the inductive approach to trace the verses addressing doubts about the Qur'an's authority as found in exegetical works; the analytical approach to deduce the Qur'anic methods of response; and the descriptive approach to present these methods systematically through detailed description.

Findings: The study reveals that the Qur'an's responses are grounded in a tripartite framework encompassing: the content of the doubt, the character of the objector, and the stance of the caller. Its methods vary widely, including negation, deliberate non-response, clarification of truth, rational argumentation, as well as deterrent admonition, mercy, and guidance directed to the caller.

Originality: This research is distinguished by its comprehensive compilation of doubts challenging the Qur'an's authority and its presentation of an integrated Qur'anic methodology of response, revealing a facet of the Qur'an's inimitability in its engagement with such doubts in a manner proportionate to each of the three parties involved.

Keywords: Methodology, Doubts, Challenging/Impugning, Authority/Sourcehood of the Noble Qur'an.